معهد السلام الأميركي
UNITED STATES INSTITUTE OF PEACE www.usip.org
SPECIAL REPORT
1200 17th Street NW • Washington, DC 20036 • 202.457.1700 • fax 202.429.6063

# الاجتهاد

## إعادة تفسير مبادئ الإسلام للقرن الحادي والعشرين

### نبذة عن التقرير

نظم معهد السلام الأميركي بالتعاون مع مركز دراسة الإسلام والديمقراطية في ١٩ مارس ٢٠٠٤ ورشة عمل بعنوان «الاجتهاد وإعادة تفسير مبادئ الإسلام للقرن الحادي والعشرين.» وتركزت المناقشات على كيفية إعادة تفسير نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لتشمل حقائق العصر ولتساعد على تحقيق مزيد من السلام والعدل والتقدم في العالم الإسلامي وفي علاقاته بالعالم غير الإسلامي.

قدم التقرير أربع خبراء في الفقه الإسلامي والتفسير: مزمل صدّيقي، عضو مجلس الفقه لأميركا الشمالية وأستاذ في جامعة ولاية كاليفورنيا وجامعة شابمان، وإمام حسن قزويني مدير المركز الإسلامي الأميركي في ديترويت، ومنير فريد أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة وايـن الحكومية ، وانجريد ماتسون أستاذة الدراسات الإسلامية ومديرة قسم الشريعة الإسلامية في كلية هارتفورد. وشارك في رئاسة ورشة العمل رضوان مصمودي رئيس مركز دراسة الإسلام والديمقراطية ، و ديفيد سموك مدير مبادرة الدين وتحقيق السلام في معهد السلام الأميركي. كتب ديفيد سموك هذا التقرير الذي يقدم خلفية عن الاجتهاد ويلخص مناقشات المجموعة.

**الآراء المقدمة في هذا التقرير لا تعبر بالضرورة عن آراء معهد السلام الأميركي الذي لا ينادي بمواقف سياسية محددة.**

**تقرير خاص رقم ١٢٥ أغسطس/آب ٢٠٠٤**

### المحتويات

مقدمة ٢
كيف يمارس الاجتهاد؟ ٣
من يمارس الاجتهاد؟ ٤
كيف يمكن إحياء الاجتهاد؟ ٤
في أية موضوعات ينبغي الاجتهاد؟ ٥
منهج بديل: روح الإبداع والخيال الإبداعي ٦
الخاتمة ٧

### موجز


- يعتقد كثير من المسلمين أن عليهم أن يختاروا بين الإسلام والحداثة أو بين الإسلام والديمقراطية ، ولكن هذه اختيارات زائفة. فلإعادة تفسير الإسلام للقرن الحادي والعشرين يجب إحياء ممارسة الاجتهاد (تفسيرات واستدلالات عقلية مبنية على النصوص الدينية).

- لقد وضع علماء الدين نهاية فعلية لممارسة الاجتهاد منذ خمسمائة عام ولكن مبادئ التفسير راسخة والحاجة ماسة إلى تفسير معاصر.

- إن التفسيرات الجديدة للنصوص تتسم بأهمية خاصة فيما يتعلق بوضع المرأة والعلاقات بين السنة والشيعة والعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين ودور المسلمين في المجتمعات غير الإسلامية والنظريات الاقتصادية الإسلامية.

- إن معظم العلماء يحصرون ممارسة الاجتهاد في المتخصصين الذين لا ينحصر علمهم في القرآن والأحاديث النبوية بل هم أيضا مطلعون اطلاعا واسعا على الكثير من المعارف الحديثة في قواعد اللغة العربية والمنطق والفلسفة والاقتصاد وعلم الاجتماع.

- يؤكد علماء آخرون أن تفسير النصوص لا ينبغي حصره في علماء الشريعة بل ينبغي فتحه أمام ذوي الخيال الإبداعي.

- تعاني ممارسة الاجتهاد في الوقت الحاضر من قيود تفرضها المؤسسات الدينية والحكومات القمعية في البلاد الإسلامية على حد سواء. فالديمقراطية وحرية البحث والتعبيروإصلاح الأنظمة التعليمية أمور أساسية لممارسة الاجتهاد ولنجاح المصالحة بين الإسلام والحداثة.

- يمتلك علماء المسلمين وقادتهم في الولايات المتحدة والمجتمعات الغربية عموماً فرصاً سانحة لقيادة عملية إحياء الاجتهاد، ويتحملون مسؤولية خاصة، لأنهم يتمتعون بحرية الفكر الإبداعي مع التزامهم بالنصوص، وتفسيراتهم الجديدة يمكن أن تستحث فكرا جديدا لدى أكثر المؤسسات الدينية تقليدية في البلاد الإسلامية.

## مقدمة

يؤمن عامة المسلمين بأن الله أنزل القرآن بلفظه على النبي محمد بواسطة جبريل في مطلع القرن السابع الميلادي. وقد نزل القرآن على مدى ثلاثة وعشرين عاما كآيات قرآنية إستجابة للتغيرات العملية وتوجيها للرسول وأتباعه. وتم تطوير علم «أسباب النزول» لفهم سبب وظروف نزول كل آية على وجه التحديد ليُتاح للمفسرين فهماً أفضل، ولتجنب سوء فهم او تطبيق الآيات المنزلة إذا خرجت عن سياقها.

يؤكد رضوان مصمودي، رئيس مركز دراسة الإسلام والديمقراطية، أنه بالرغم من عدم اختلاف المسلمين على أن القرآن هو كلام الله المنزل، فقد اختلفوا بحدة، ولا يزالون، حول معاني بعض الآيات وتطبيقها على أوضاع متفاوته. ولذلك ظهرت بعد وفاة النبي محمد عام ٦٣٢ ميلادي وعلى امتداد القرون الثمانية أو التسعة الأولى للإسلام آراء متنوعة ومدارس فقهية كثيرة بشأن كل قضية ومسألة تقريبا. وهناك علم آخر يعرف باسم الاجتهاد (أي الإستدلال العقلي والتفسير)، وقد طوره علماء المسلمين لفهم رسالة القرآن وتطبيقها على الاحتياجات والظروف الاجتماعية المتغيرة.

والشريعة الإسلامية محل تفسير أيضا طبقا لحاجات المجتمع المتغيرة دوما فلم تتحول مبادئ الشريعة الهادفة إلى حماية الفرد والمجتمع إلى مجموعة من القواعد الجامدة. واعتمد فقهاء المسلمين وعلماؤهم، واستجابة لحاجات المجتمعات الإسلامية المتغيرة، على عملية ابداع فكري هي علية الاجتهاد التي لا تكتفي بالرجوع إلى نصوص القرآن والسنة، بل تعتمد أيضا العقل والاستنباط والترجيح.

ومن المفيد لتوضح ممارسة الاجتهاد استعراض الأمثلة الآتية. فقد عطّل الخليفة عمر بن الخطاب حدّ قطع يد السارق، بعد وفاة النبي محمد بخمسة عشر عاما، لأن معظم اللصوص كانوا يسرقون بسبب الجوع والفقر والقحط مبرراً قراره المخالف لآية قرآنية بقوله إن مبادئ العدل والإنصاف أولى بالإتّباع. وبالمثل أصدرت مجالس علماء المسلمين في أوربا والولايات المتحدة في عام ٢٠٠٠ فتوى تسمح للمسلمين المقيمين في الغرب بشراء بيوت بالدَين رغم مخالفة ذلك لتعاليم القرآن التي تحرّم تقاضى ودفع الفوائد قائلين إن هذه الإجازة ضرورية لسد حاجات المسلمين المالية والاجتماعية في الغرب. وثمة مثال آخر عن الإمام محمد ابن إدريس الشافعي، وهو مؤسس أحد المذاهب الفقهية، الذي أصدر فتوى في بغداد وبعد عام أصدز أخرى في القاهرة مناقضة للأولى. وعندما سئل عنها قال: «ذاك كان في بغداد وهذا في القاهرة، ذاك كان في العام الماضي وهذا الآن.» فعند ممارسة الإجتهاد، ينظر العلماء إلى الزمان والمكان والقواعد السلوكية والظروف السائدة عندما يدلون بمشورتهم وآرائهم الدينية.

ويؤكد مصمودي إن عملية الاجتهاد مكنّت المسلمين من المرونة والتعلم من ثقافات وحضارات أخرى، فالإسلام يعلّم أن الحقيقة لا يملكها أحد وأن المؤمن الحق هو في بحث دائم عن الحقيقة والحكمة فحيثما وجدهما اتّبعهما. هذا البحث الدائم عن الحقيقة وعن مبدأ العدل الإسلامي في شموله حدا بالمسلمين وبعلمائهم إلى احترام آراء بعضهم مما جعلهم قابلين لتغيير آرائهم الشخصية إذا اتضح خطؤها. فقد اعتاد علماء الدين المسلمون القول «هذا رأيي وقد أكون مخطئا وهذا رأي آخرين وقد يكونون على صواب.» لا أحد كان يحتكر الحقيقة. وأتاحت عملية الاجتهاد، حتى عام ١٥٠٠ ميلادي تقريبا، للمسلمين وللمجتمعات الإسلامية التكيف الدائم مع الظروف الاجتماعية المتغيرة وتحقيق تقدم مستمر في المعرفة. وللأسف عندما بدأت الحضارة الإسلامية في الضعف منذ حوالي أربعة أو خمسة قرون أمام تفوق الغرب، بدأ المسلمون في تبني مواقف أكثر محافظة سعيا إلى الحفاظ على القيم والمؤسسات التقليدية. وكانت النتيجة أنه بدأ كثير من العلماء ينظرون نظرة سلبية إلى التجديد والتكيف. ويقول مصمودي إن هذه المرحلة كانت بداية أفول الحضارة الإسلامية. ومنذ ذلك الحين، أخذت الشريعة الإسلامية تبتعد عن الواقع وعن العصرية يوما بعد يوم ، ولم تعد التفسيرات القديمة تقدم الأجوبة المناسبة على الأسئلة الصعبة التي تواجه العالم الإسلامي.

يعتقد كثير من المسلمين أن عليهم أن يختاروا بين الإسلام والحداثة، أو بين الإسلام والديمقراطية. ويقول المصمودي إن هذا اختيار زائف إذ عندما يواجه معظم المسلمين بهذا الخيار فإنهم يختارون الإسلام ويرفضون أي شيء يعتبرونه غريبا عنهم أو مخالفا لمبادئ عقيدتهم. ولذلك

هناك أزمة في العالم الإسـلامي اليوم. ولا سـبيل إلى الخروج من هذا المأزق بدون تجديد مفهوم الاجتهاد و فتح هذا الباب لبلورة تفسـيرات عصرية لمبادئ الإسلام تتوافق مع كلام الله والأوضاع والأفكار والقيم التي ظهرت في القرون الماضية.

ولاستكشـاف هذه القضايا، دعا معهد السـلام الأميركي ومركز دراسـة الإسـلام والديمقراطية أربعة من كبار علماء الإسلام الأجلاء لمناقشة الاجتهاد ودوره في مواجهة احتياجات المسلمين والمجتمعات الإسلامية المعاصرة. وطلب إليهم بحث المسائل التالية:

- كيف يمارس الاجتهاد؟ وكيف يمكن توظيفه لمواجهة احتياجات المجتمعات الإسلامية في القرن الحادي والعشرين؟
- من يملك حق ممارسة الاجتهاد؟ وكيف يمكن فتح باب الاجتهاد من جديد؟
- ما هي المشاكل والتحديات والعقبات الأساسية التي تواجه العالم الإسلامي اليوم وكيف يمكن معالجتها؟
- ما هو دور زعماء المسلمين الأميركيين والمنظمات الإسلامية الأميركية في دعم تفسير أكثر سماحة وعصرية واعتدالا للإسلام ؟
- كيف يمكن أن يتكيف الإسلام مع الظروف الاجتماعية والاحتياجات والأولويات المتغيرة في بحثه عن العدالة الاجتماعية والمساواة؟
- ويلخص بقية التقرير مناقشات أعضاء المجموعة.

## كيف يتم الاجتهاد؟

يقول مزمل صدّيقي عضو مجلس الفقه في أميركا الشـمالية، والذي يدرّس في جامعة ولاية كاليفورنيا وجامعة شـابمين، إن الإسـلام ناموس كامل للحياة. وعلى المسلمين أن يلتزموا بالأحكام الإلهية في كل جوانب حياتهم في كل زمان ومكان. ومع ذلك، فأحكام الله الفعلية التي يبينها القرآن والسنة محدودة . فالقرآن يشتمل على ستمائة آية فقط تتعلق مباشرة بالأحكام، وهناك حوالي ألفي حديث نبوي يتناول هذه الأحكام .

يؤمن المسـلمون بأن الله أنزل القرآن كله . ولكن الأحاديث تتضمن أقوالا تأتي بالتأكيد مباشـرة من النبي محمد وأخرى احتمالية فقط وأصالة بعضها قد تكون في موضع شـك. وبالإضافة إلى ذلك، ففي القرآن و الأحاديث نصوص لها معان محددة بينما أخرى لها معان احتمالية فقط. وبذلك فكل نصوص القرآن والأحاديث يمكن تقسيمها إلى أربع فئات:

- لها مصدر محدد ومعنى محدد.
- لها مصدر محدد ومعنى احتمالي.
- لها مصدر احتمالي ومعنى محدد.
- لها مصدر احتمالي ومعنى احتمالي.

ويتحدد عمل مفسر النص (المجتهد) بالتأكد من صحة المصدر أو المصادر ثم استخراج الأحكام من خلال تفسير المصادر.

- تطبيق الأحكام على حالات جديدة قد تماثل الحالات المذكورة في المصادر والتي لا يمكن اكتشاف حكمها من خلال التفسير الحرفي (تسمى هذه الطريقة القياس).
- تطبيق الحكم على حالات جديدة لا تشـملها الطريقتان السـابقتان عن طريق تأمل المبادئ والمقاصد العامة للشـريعة (هذه الطريقة تعرف باسم الاستحسان أو الاستصلاح، أي الأخذ بعين الإعتبار مصلحة الأمة/الجماعة).

والدور الأساسي للمجتهد هو شرح وبيان حكم الله في حالة معينة وهذا يضفي عليه مسؤولية كبرى أمام الأفراد والجماعات .

## من يمارس الاجتهاد؟

يقول إمام حسن قزويني مدير المركز الإسلامي الأميركي إن من يملك حق الاجتهاد يجب أن يكون من أصحاب الخبرة الفقهية المعتبرة ، ومؤهل لاشتقاق الأحكام الفقهية من مصادرها الأصلية. وهذا يتطلب خبرة واسعة و سنوات كثيرة من دراسة الفقه وأصوله والأحاديث وسيرة رواة الحديث وشروح وتفاسير القرآن وقواعد اللغة العربية والبلاغة والمنطق. وعلاوة على ذلك، فإن معرفة الفلسفة والاقتصاد وعلم الاجتماع في هذا العصر أصبحت ضرورة ملحة. ويجب أيضا أن يكون المجتهد متصفا بصفات مثل الورع والتقوى والعدالة.

وتوجد حاليا بعض العقبات أمام زيادة أعداد وصلاحية المجتهدين . فمثلا، أشار صدّيقي إلى أن فقهاء المسلمين على علم واسع بالمصادر الكلاسيكية ولكن كثيرا منهم لا يستخدمون في تفسيراتهم الوسائل التي توفرها لهم علوم اللغويات والمنطق ودلالات الألفاظ. كذلك تفتقر المجتمعات الإسلامية بشكل عام إلى الحرية اللازمة لاستنباط المعلومات من مواردها ومناقشة القضايا بحرية، نظراً للقيود التي تفرضها عليها السلطات السياسية والمؤسسات الدينية على حد سواء. وبالإضافة إلى ذلك، فالأنظمة التعليمية الإسلامية عادة غير متطورة ولا تهيء المجتهد لأداء المهام المنوطة به.

## كيف يمكن إحياء الاجتهاد؟

يقول قزويني إن من أفدح الأخطاء التي ارتكبها المسلمون هو إغلاق باب الاجتهاد. فقد حصروا التفسير الفقهي في أربعة من العلماء البارزين: أنس ابن مالك وأبو حنيفة النعمان ومحمد ابن إدريس الشافعي وأحمد ابن حنبل، وهم أصحاب المذاهب الأربعة المالكي والحنفي والشافعي والحنبلي. وقد كان الدافع إلى ذلك سياسياً، إذ أن العباسيين ( ٧٥٠ - ١٢٥٨ ميلادي) قرروا حظر كل المذاهب الأخرى ليحكموا سيطرتهم على الدين والعبادة والأمور السياسية.

وكان لإغلاق أبواب الاجتهاد عواقب سيئة للغاية على العالم الإسلامي. يقول قزويني إن هذا القرار أسفر عن جمود فكري مزمن حيث أنه منع آلاف المجتهدين والعلماء من تقديم حلول عملية محتملة لمشاكل تطرأ مجدداً، وأصبح المفكرون المسلمون رهائن أحكام أرسيت منذ أمد طويل، وهذا أدى إلى تضييق المجال أمام التفكير الحر والمبدع.

إن حكومات البلاد الإسلامية اليوم، وكثير منها فاسد، تجني أكبر فائدة من غياب الاجتهاد وتسهم في الإبقاء على أبواب الاجتهاد مغلقة من أجل السيطرة على المؤسسات الدينية التي تعتمد على التمويل الحكومي والتي أصبحت رهينة سياسات الحكومة، مما أضعف تأثيرها. الخطوة الأولى نحو فتح باب الاجتهاد ، كما يرى قزويني تتحدد في تحرير المؤسسات الدينية من نفوذ الأنظمة السياسية، كي تتمكن . من إصدار وتفسير أحكام الدين بصورة مستقلة.

وأشار صديقي إلى أنه لا يمكن أن يكون هناك اجتهاد حقيقي ما لم يكن للعلماء الحرية في التعبير عن آرائهم أو في انتقاد غيرهم من العلماء إذا ارتكبوا أخطاءً في أعمالهم. إن حرية التعبير ملازمة لمفهوم وممارسة الاجتهاد، وهذا يعني أن إرساء الديمقراطية في المجتمعات الإسلامية وتمتع العلماء بحرية أساسية شرط لازم لتنفيذ هذه العملية.

وإصلاح الأنظمة التعليمية الإسلامية أساسي أيضاً، بما في ذلك إعادة النظر في مناهج المدارس والمعاهد الدينية. فبدلاً من تعلم التفسير من مدرسة واحدة فقط، وهو ما جرت العادة عليه، يجب أن ينفتح الطلبة على جميع المدارس. وبدلاً من دراسة آراء وتفسيرات المدارس فقط، يجب أن يطلع الطلبة أيضاً على الأدلة التي استخدمت للوصول إلى هذه التفسيرات، وكذلك على الوسائل الأخرى للتفسير. كما يجب أن يدرس الطلبة الدين المقارن والمنطق الحديث والفلسفة وعلم النفس والتاريخ والاقتصاد والنظريات السياسية كخلفية لتحسين التفسير. أخيراً، يجب أن تولي المدارس والمعاهد الدينية اهتماماً أكبر للكتب الإسلامية العظيمة التي كتبت عن مقاصد الشريعة الإسلامية.

وأكد صدّيقي أيضاً أن الاجتهاد يجب أن يصبح جهداً جماعياً، إذ توجد حالياً عدة مجالس فقه وطنية ودولية (مجالس للفقه وتفسير الشريعة) ولكن عليهم أن يرفعوا من مستوى تنظيمهم وتعاونهم. كما يجب أن يكون خبراء الشريعة، رجالاً ونساءً، أعضاء في هذه المجالس. ولا ينبغي أن تقتصر العضوية على الدارسين للشريعة، بل يجب أن تشمل المتخصصين في مجالات الطب والفلك والاقتصاد والعلوم الاجتماعية والسياسية

والقانون كمستشارين. بل ويجب دعوة العلماء من غير المسلمين من المتعاطفين والموضوعيين للمشاركة. ولا ينبغي على المجالس أن تصدر الفتاوى فحسب، بل تعطي الأدلة والمنهجيات وراء فتاواها أيضاً. ويجب أن تبذل جهداً في سبيل الوصول إلى إجماع بقدر الإمكان.

وكما ذكر مصمودي، فإن أعضاء المجموعة الأربعة اعتبروا غياب الحرية والديمقراطية عقبة خطيرة تعوق الاجتهاد.وبدون الحرية والديمقراطية، المحاصرتان في العالم الإسلامي عموما والدول العربية خصوصا، لا يمكن ممارسة الاجتهاد. إن الديمقراطية هي مفتاح باب الاجتهاد، والاجتهاد هو مفتاح حل المشاكل الأساسية التي تواجه العالم الإسلامي اليوم.

## في أية موضوعات ينبغي الإجتهاد؟

تواجه المسلمين اليوم موضوعات كثيرةً تتطلب الاجتهاد، وبالنسبة لصدّيقي تتطلّب الموضوعات التالية اهتماماً ملحاً وعاجلاً:

- دور المرأة. يجب أن يُعاد النظر في دور المرأة في الإسلام من خلال البحث بعناية في النصوص الأصلية.

- السنة والشيعة. يجب تضييق الهوة العقدية بين مختلف المذاهب الإسلامية.

- روح العولمة. يجب على المسلمين أن يعتمدو إجتهادا متطورا لإعادة تفسير التقسيم الكلاسيكي للعالم إلى دار الإسلام ودار الحرب، إذ يجب التأكيد على اعتماد نظرة لعالم واحد وعلى مسؤولية المواطنية في قريتنا الكونية. كما يجب ممارسة الاجتهاد لترسيخ علاقات أفضل بين الناس من مختلف الديانات والثقافات عن طريق تشجيع الحوار بين الجماعات بدلاً من تشجيع فكرة تضارب الثقافات والحضارات.

- الاقتصاد. ثمة حاجة إلى إعادة نظر جذرية في النظريات الاقتصادية الإسلامية للأخذ بعين الإعتبار عناصر النظريات الاقتصادية الحديثة. لماذا يعاني العالم الإسلامي من الفقر وكيف يمكن تغيير ذلك؟ ما هي مجالات التعاون الممكنة بين المسلمين والمنظمات الاقتصادية العالمية بدون إفساد القيم الإسلامية الأصيلة ومباديء العدل والانصاف والقسط؟

- الوحدة بين الدول الإسلامية. يجب أيضاً إعادة النظر في الفكر السياسي الإسلامي وفن إدارة شؤون الدولة. كيف يمكن جمع شمل المسلمين ليتعاونوا بصورة أوثق وما هي البنى الجديدة اللازمة لتشجيع وحدة العمل بين الدول الإسلامية؟ يجب بحث المعايير الأخلاقية والأدبية في الدولة الإسلامية، وكذلك دعم حرية الفرد وبخاصة حرية الأقليات الدينية.

- المسلمون في البلاد غير الإسلامية. يجب أن يكون الاجتهاد وسيلة لإرشاد ما يقارب ثلث الأمة الإسلامية الذين يشكلون أقليات في البلاد غير الإسلامية. ما هي القواعد والخطوط العامة الإسلامية التي يترتب على هؤلاء المسلمين اتّباعها ليصبحوا مواطنين صالحين في موطنهم الأم أو موطنهم الجديد؟ كيف يمكن لأبناء الأقليات المسلمة أن يصبحوا مشاركين ناشطين ومسؤولين في حياة هذه البلاد مع المحافظة على معتقداتهم وقيمهم الإسلامية؟

يقول قزويني إن الأفكار المسبقة والجمود الفكري والديكتاتورية السياسية ورفض الآخر، وغياب الديمقراطية والحرية، وتفشي الطائفية والتطرف تشكل عقبات أساسية تحول بين المسلمين وممارسة الإجتهاد. وللأسف فإن هذه الآفات المستشرية في المجتمعات الإسلامية تستفحل، ولعلها وصلت إلى نقطة قد يكون من الصعب السيطرة عليها.

وأشار قزويني إلى أن المشاركين في المناقشة يمثلون كل الفئات الإسلامية ـ الرجال والنساء، والشيعة والسنة، وعلماء الدين والأساتذة الأكاديميين ـ وأكد أن هذه المجموعة يمكن أن تقدم للعالم الإسلامي صورة نموذجية لتسامح الإسلام وانفتاحه. لا شك في أن الحياة في الولايات المتحدة تجعل الإنسان يشعر بتقدير للتعددية. فالمسلمون في الولايات المتحدة يتمتعون بحرية أكبر، بل وبحرية دينية أكبر من تلك الموجودة في معظم البلاد الإسلامية، ويمكنهم لذلك أن يبرزوا للعالم الإسلامي الإوسع هذا الفهم الإيجابي الذي يشمل الانفتاح على بعضهم بعضاً والتسامح المتبادل والمشاركة في حوارات الأديان بحيث يصبحون نموذجاً لملايين المسلمين في أنحاء العالم.

## نهج بديل: روح الإبداع والخيال الإبداعي

تبنى منير فريد، أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد في جامعة واين الحكومية، وانجريد ماتسون، أستاذة الشريعة الإسلامية في كلية هارتفورد، وجهة نظر عن الإجتهاد تختلف إلى حد ما عن وجهات نظر بقية المشاركين. اقترح فريد أن يُنظر إلى الاجتهاد بثلاث طرق مختلفة: كأداة شرعية، وكشكل من أشكال التفكير التشريعي، وكروح إبداع. ولكن علماء المسلمين لا يزالون غير واضحين عن طبيعة الاجتهاد المحددة إذ أنه عندما يستخدم هذا الاصطلاح، فهو يعني ضمنا أسلوب القياس، وهذا أداة قانونية.

ويمكن إعادة اهتمام علماء المسلمين المتزايد بالاجتهاد إلى أنه يبقى الوسيلة الوحيدة للتفكير العقلاني المشروع في البيت الإسلامي. فالإسلام دين وحي تحدث الله من خلاله إلى النبي محمد الذي نقل كلام الله واستكمل تفاصيله وقدم شروحاً لتطبيقه. والحقيقة في الإسلام إلهية وتستند إلى إطلاق إلهي في آن معا، ومن ثم ليس ثمة مجال كبير للاستفسار العقلاني.

ازدهر الاجتهاد في فترتين في التاريخ الإسلامي، في القرن التاسع والقرن التاسع عشر. وفي الفترة الأولى، كان الاجتهاد إستدلالاً عقلياً شرعياً. ولكن في الفترة الثانية، نظر بعض الدارسين إلى الاجتهاد بوصفه «روح الإبداع» اللازمة لإطلاق طاقة المسلمين وخلق عالم جديد، عالم يمكن أن يتيح ازدهار الحضارة الإسلامية. ولكن علماء الدين أحبطوا هذه الحركة. حراس التقاليد هؤلاء لم يكونوا يميلون إلى القبول بالإجتهاد كروح إبداع. وبالإضافة إلى ذلك، كانت الحركة نفسها تهديداً لمكانتهم بل ولمعيشتهم. وفي القرن العشرين، تعرض الإسلام للمهانة على عدة جبهات بسبب الاستعمار وتقطع أوصال الخلافة وإلغاء العمل بالشريعة الإسلامية من قبل مصطفى أتاتورك في تركيا. ونتيجة لذلك، بدأ كثير من المسلمين المستنيرين الذين تلقوا تعليماً غربياً في البحث عن شيء في الإسلام يتيح للمسلمين التفكير بحرية التعاطي مع العناصر الإيجابية في حضارتهم واعتناقها.

وهكذا، قدم الاجتهاد نفسه ولكن هذه المرة كروح إبداع وليس كتفكير شرعي. عندما تحدث النبي عن الاجتهاد أو عندما وافق على الأخذ به، يبدو أنه فعل ذلك بمعنى أن يكون الاجتهاد تفكيراً إبداعياً.

والتحدي أمام تقدم المسلمين هو تحديد ما إذا كان هذا التفكير الإبداعي ينبغي أن يكون تكميلياً ومن ثم موازياً للنصوص الإلهية، أم ينبغي أن يبقى كما كان في الماضي خاضعاً للنص. هذا هو السؤال الكبير اليوم. وهو أيضاً تحد لجميع أولئك الذين لا يعتبرون الإسلام مجرد دين، بل وحضارة يمكن أن تقدم الكثير إلى العالم.

وأشارت انجريد ماتسون، المتخصصة في الشريعة الإسلامية، إلى أنها رغم تحمسها للتفكير الشرعي وجوانب القانون المعرفية ، فهي لا تريد العيش على أرض خُلق فيها القانون على يد أمثالها من العلماء فقط. وكما هو واضح، لم يبنَ الحضارة الإسلامية مجموعة من العلماء جلسوا في غرفة ودوّنوا قواعد الجائز والمحرّم ثم أعلموا الناس بالقانون. إن بناة الحضارة الإسلامية كانوا أناساً من ذوي روح المبادرة والخيال والإبداع الذين عكفوا على بناء حياة إبداع وصنع علاقات جيدة مع الآخرين. هؤلاء القادة لم يستشيروا علماء الدين إلا عندما كانوا يواجهون الصعوبات. إذن ما الذي كان يدفعهم؟ ما الذي خلق الحضارة؟ ما الذي أتاح للناس تبني نظرة متفائلة؟ لقد بُني الإبداع على الإعتقاد أن هناك دائماً إمكانيات جديدة متاحة وأن الله عندما منحنا هذه الأرض وهذه الحياة أجاز لنا أن نستخدمها بشكل إبداعي.

قالت انجريد ماتسون: «إن التفكير الشرعي ـ ولو كان بأفضل صوره ـ ليس حلاً لمشاكلنا. لماذا لا نزال نحن المسلمون في الوضع الذي نوجد فيه؟ مشاكلنا لن تحل بأن يفكر علماء الدين بصورة أعمق. إذا قصرنا التغيير والتجديد على المؤهلين للتفكير انطلاقاً من النصوص، فلن نصل إلى شيء.»

تقول آية قرآنية «**فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم**» {سورة ٤١:٣٤}. إقترحت انجريد ماتسون أن هذه الآية تدعونا إلى تخيل مستقبل مختلف قبل التفكير بالخروج مما نحن فيه. «يجب أولا أن تكون لدينا رؤية لغد مختلف وأن نعرف أن هناك إمكانية لعالم مختلف. حتى عندما تجرفنا عواطفنا، وننهمك بكفاحنا اليومي وبالصعوبات التي تواجهنا ولا نتخيل كيفية التغلب عليها، فإن الإيمان وروح الإبداع يساعداننا على الإدراك أن الله قادر على خلق مستقبل مختلف. الله قادر على أن يجعل العدو ولياً حميما.» ومن ثم فالخيال هو المفتاح لمستقبل أفضل. إنه مفتاح لمجتمع جيد. يجب أن يُستعمل الخيال جنباً إلى جنب مع التفكير الشرعي دون أن يخضع له. العقل بذاته يمكن أن يؤدي إلى نتائج وأفعال مدمرة إذا أسيء استخدامه. إنه يمكن أن يؤدي إلى مشروعات عقلانية لكنها شنيعة. العقل يمكن أن يؤدي بنا إلى ضياع حقيقي إذا لم

يسترشد بالأخلاق والخيال. وأكدت انجريد ماتسون أن المبدأ القانوني المستخدم بكثرة في الاجتهاد «الضرورات تبيح المحظورات» هو أداة قيّمة ولكنها محدودة. قد يجد المسلم أو المسلمة نفسيهما في وضع لا يستطيعان معه أداء صلاة الجمعة بسبب قيود الوظيفة، ومن ثم فالضرورة تبيح المحظور. ولكن لا يمكن للعلماء لا يستمروا بسن تشريعات على أساس الاستثناءات للمسلمين الذين يعيشون فيما يطلق عليه البلاد غير الإسلامية. العالم تعددي وتزداد هذه الظاهرة يوماً بعد يوم، وبالتالي يجب بلورة واستخدام مزيد من المقاربات الإبداعية في الاجتهاد.

وقالت انجريد ماتسون إن من ضمن المشاكل الأساسية التي تواجه المسلمين هي أنه «بسبب رؤيتنا الضيقة للغاية، رؤيتنا المتأثرة بأتفه التفاصيل القانونية، ونماذجنا التسلطية في صنع القرار، نستبعد القادرين على تزويدنا برؤية مختلفة عن المستقبل.» وأكدت أن الفكاهيين والشعراء والموسيقيين يجب أن يساهموا في وضع رؤية مختلفة للواقع. وأضافت «سنناقش الحدود التي يجب أن تفرض على هذه الرؤى الجديدة. متى ابتعدنا عن كوننا مسلمين وخالفنا هذا الأمر الجوهري؟ يجب أن نجري هذه المناقشة ولكن لا ينبغي أن نخشى ازدهار الروح الإبداعية لأن بدونها لن يكون لدينا مستقبل واعد.»

وهناك تحد آخر: غالباً ما يغرق العالم الإسلامي في الحنين إلى أمجاد الماضي، ومناهج الإجتهاد التقليدية غالباً ما تحصر المسلمين في الماضي. والمثال على ذلك هو الصعوبة التي وجدها علماء المسلمين في القرن التاسع عشر في إدانة الرق والدعوة إلى إلغائه. إذ أن العلماء التقليديون في ذلك الوقت تبنوا وجهة نظر تقول إن الرق وجد دائماً وإن تشريعاتهم التي تنظم الرق أتاحت حسن معاملة العبيد. هؤلاء العلماء لم يستطيعوا تخيل عالم بدون رق، وهذا الافتقار إلى الخيال منعهم من التقدم إلى الأمام.

وقالت انجريد ماتسون «أنا أستاذة وأقوم بدراسات طول الوقت، ولكن وضع كل شيء بين أيدي الأكاديميين سيحدّنا ويعوقنا وسيعني أن الأمر سينتهي بنا إلى وضع ليس أفضل كثيراً مما نحن عليه اليوم. أؤمن بأن هناك باباً آخر مفتوحا، وهو باب كلامي يركز أكثر على تراث القانون الطبيعي في الإسلام. العقل ليس هو السند الوحيد للوحي. يوجد في الإسلام شيء اسمه الفطرة، الحس الذي منحه الله لتمييز الخطأ من الصواب. يمكن لهذا الحس أن يخمد أو أن يصقل، ويمكن من خلال التعاطي الصحيح معه أن تجعلنا أناساً أخلاقيين.»

## الخاتمة

إن من الأسباب الرئيسية لفشل المسلمين في المصالحة بين الإسلام والحداثة أن عملية الاجتهاد أغلقت منذ قرون. ومع ذلك فإن تفسير نصوص المسلمين المنزلة يجب أن يكون على ضوء حقائق العصر والمعرفة الحديثة. ولكي ينجح الاجتهاد في مجتمع ما، يجب أن تسود الديمقراطية وحرية الرأي. وبينما يوجد هناك أدوار واضحة وبالغة الأهمية يؤديها علماء الشريعة الإسلامية في إحياء وظيفة الإجتهاد، لا ينبغي أن تكون مسؤولية هذه الوظيفة مقصورة عليهم. يجب مزج التمسك بالنصوص بخيال إبداعي لتقديم إعادة تفسير مستنيرة تناسب القرن الحادي والعشرين. ويمتلك علماء المسلمين وقادتهم في الولايات المتحدة وفي المجتمعات الغربية عموما فرص سانحة لقيادة جهود إحياء الاجتهاد وتقع هذه المسؤولية على عاتقهم. ويتمتع الأكاديميون المسلمون في الغرب بحرية التفكير الإبداعي مع التمسك بالنصوص. ويمكن لتفسيراتهم الجديدة أن تستحث فكراً جديداً لدى أكثر المؤسسات الدينية تقليدية في البلاد الإسلامية.

## نبذة عن المعهد

معهد السلام الأميركي مؤسسة فيدرالية مستقلة، غير حزبية، أنشأها الكونجرس للتشجيع على منع الصراعات الدولية وإدارتها وإيجاد الحلول السلمية لها. والمعهد الذي أنشئ في عام ١٩٨٤، يضطلع بمهمته التي كلفه بها الكونجرس من خلال برامج عدة من بينها برامج منح البحوث، ومنح الزمالة، والتدريب المهني والبرامج التعليمية من المرحلة الثانوية حتى الدراسات العليا، وعقد المؤتمرات والحلقات الدراسية، وخدمات المكاتب والمطبوعات. ويعين رئيس الولايات المتحدة مجلس إدارة المعهد ويصادق عليه مجلس الشيوخ.

**لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع، أنظر موقعنا على الشبكة (WWW.USIP.ORG) حيث توجد نسخة إلكترونية من هذا التقرير مع وصلات إلى مواقع أخرى مناسبة، وكذلك معلومات إضافية حول الموضوع.**


### مجلس الإدارة

• **ج. روبنسون وست** (رئيس)، رئيس مؤسسة بي أف سي للطاقة، واشنطن العاصمة • **ماريا أوتيرو** (نائبة رئيس)، رئيسة مؤسسة أكسيون العالمية، بوسطن، ماساتشوستس • **بتي ف. بومبرز**، مؤسسة ورئيسة سابقة، مؤسسة إتصالات السلام، واشنطن العاصمة • **هوللي بوركهالتر**، مديرة الإعلام، مؤسسة الأطباء من أجل حقوق الإنسان، واشنطن العاصمة • **تشستر أ. كروكر**، جيمز ر. شليسنجر بروفسور في الدراسات الإستراتيجية، مدرسة العلوم الدبلوماسية، جامعة جورجتاون • **لوري س. فولتون**، مؤسسة وليامز وكونولي، واشنطن العاصمة • **تشارلز هورنر**، زميل أول، معهد هدسون، واشنطن العاصمة • **ستيفن د. كرازنر**، غراهام ستيوارت بروفسور في العلاقات الدولية، جامعة ستانفورد • **سيمور مارتن ليبست**، هيزل بروفسور للسياسة العامة، جامعة جورج مايسن • **مورا ل. ماكلين**، رئيسة معهد أفريقيا-أميركا، نيو يورك، ولاية نيو يورك • **دانيال بايبس**، مدير منتدى الشرق الأوسط، فيلادلفيا، بنسيلفانيا • **باربارا سنيلينغ**، سيناتورة ولاية سابقة ونائبة محافظ سابقة، شلبورن، فيرمونت.

### أعضاء شرفيون

• **آرثر إ. دووي**، مساعد وزير الخارجية لشؤون السكان واللاجئين والهجرة • **مايكل م. دن**، لفتنانت جنرال، سلاح الجو الأميركي، رئيس جامعة الدفاع الوطني • **بيتر و. رودمان**، مساعد وزير الدفاع لشؤون الأمن الدولي • **ريتشارد ه. سولومون**، رئيس معهد السلام الأميركي (بدون حق التصويت).



**United States Institute of Peace**
17th Street NW 1200
Washington, DC 20036
**www.usip.org**



**Special Report 125**
***Ijtihad***